

كسر تقاليد العمر تحد لها يمليه المجتمع على المرأة من أدوار

العيش خارج القاعدة التي رسمتها المجتمعات للمراحل العمرية يمكن النساء من التغلب على الشيخوخة



استمرار الحفاظ على الجمال خطوة نحو قهر الشيخوخة

والذكر لها يبقا يتواجدين حتى مع تقدمها في السن. فمع تقدم المرأة في العمر ومع زخم ضغوط مشاريعها الأسرية التربوية والشغلية، ومع دخولها في أزمة منتصف العمر وتغير ميولها ورغباتها ونزعاتها نحو تغيير نمط العيش، تكون في حاجة إلى تعزيز ثقتها بنفسها عبر المزيد من الاهتمام من طرف الزوج وعبر المزيد من تفعيل أدوارها المجتمعية. ولكنها تصطدم بقيود مجتمعية تحد من مساحه فعلها الاجتماعي عبر أفراد تحكّمهم النظرة التقليدية، فقد يتنكرون على تواجدها في بعض الاعمال التي يعتبرونها فضاء خاصا للذكر، أو على شكلها إذا كان يميل إلى التحرش والتغيير. كما أنها قد تواجه بالبرود العاطفي والجنسي للشريك، الذي تجربها القيود الاجتماعية على تغليفه بالصمت والموارة، مما يولد مشكلات نفسية واجتماعية أعمق وأشد.

الرياضة والفنون

واكد أن النساء يذهبن إلى أنشطة مختلفة مثل الرياضة والفنون مثل نوادي الغناء والرسم كمتنفس عن بعض المكروبات المخزنة داخلهن، وينشطن بكثافة في المجتمع المدني والفعل السياسي وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك للتعبير عن الرغبة في التحرر من مكبات القيد الأسري والقيود المفروضة من المجتمع، ولقد نجحت المرأة في تونس في هذا إلى حد بعيد.

وبعيدا عن ردود الفعل المجتمعية تجاه كبار السن، وخاصة النساء منهم، واختيارهن لنمط حياة "مخالف" للقواعد العمرية والجنسية، يرى المختصون أن القصص لنساء كبيرات في السن، وتتن شيوختهن كما يشان، وعلمن على ملامتهن لرغباتهن، هي نماذج ذاتية غالبا، خاضعة لظروف عديدة، منها التي تسهل المعركة على الحياة، ومنها التي تجعلها مستحيلة. لكنها بنفس الوقت، هي قصص تعيد الاعتبار للحياة بمراحلها العمرية، للشيخوخة كمرحلة حياتية وليس تجهيزا للموت، وبإمكانها أن تتيح متسعا لتحقيق الرغبات الفردية، مع كل الخوف والحقائق المضادة لذلك.

وتقول حلوة إنه في حال ناهدة ونساء أخريات مشابهات لها في شيوختهن "غير التقليدية"، هن إجابات مهمة لنساء سيبتن يوما كما يشان، ورغم عن كل شيء، بما في ذلك تقدم العمر.

بجامعة الزيتونة، حيث تدرجت بعض المتقاعدات من مرحلة الإجازة إلى مرحلة الماجستير في انتظار بلوغ مرحلة الدكتوراه، حبا في تضيئة العمر في الأعمال النافعة وأفضلها تحصيل العلم والمشاركة في بثه، وفي كلية الآداب والفنون والإنسانيات صنف الإعلام التونسي كثيرا منذ سنتين لطالبة دكتوراه ناهضة عمرها تقريبا الثمانين سنة، لأن ليس للعلم سقفا عمريا، ثم تشجعا لظاهرة إقبال مقدمي السن على التحصيل المعرفي وعلى التكوين في الحرف ومناقسة الشباب في مقاعد الدراسة.

ويتابع "كلنا يعلم أننا نحمل الكثير من الرؤى المجتمعية المؤيدة من قبيل ربط العمل بالمال ويسقف عمري، فإذا بلغه المرء تولد فيه الإحساس بأن صلوحيته الاجتماعية قد انتهت، وأنه أصبح غير ذي فائدة في الحياة، وأنه لا فائدة مالية ممكن أن يحصلها إلا ما تدره عليه الصناديق الاجتماعية، الأمر الذي يجعله عرضة للإصابة بحالات الاكتئاب المؤذي".

ويشار إلى أن النظر إلى الحياة على أنها تنحصر في العمرين الزمني والمادي، والبيولوجي يعد أكبر خطأ يحطم نفسية المتقدمين في السن، وعليه فإن كسر جدار هذا الخطأ يتم عن طريق تغمين العمرين النفسي والمهني، بما يرفع من القدرات الوظيفية للنساء المصبرات على مواصلة العمل في تحد لعوارض الشيخوخة وحتى للمرض المرتبط بها، بما يجعلنا نتحدث عن الشيخوخة المفيدة أو السليمة ويجعلها تسيطر بشكل يضرب المثل في قوة الإرادة على التغييرات التي يواجهها الإنسان عند تقدمه في السن.

موروثات ثقافية يرى علماء الاجتماع أنه مع ازدياد العمر، هناك رغبة في كسر كل التقاليد المتعلقة بالكيفية التي يجب أن تكون عليها الشيخوخة أو كيف على النساء كبيرات السن أن يعشن، مشيرين إلى أن نزع الحق من المسنين والمسلمات لممارسة الحياة كما يرغبون ويرغبين يعد عملا لا أخلاقيا.

وأكد علماء الاجتماع أن المرأة التي تبدو في الثمانين من عمرها ومازالت لديها رغبة في السفر والتعلم والرقص، وتقوم بذلك، تتعرض إلى التنمر، وبالتالي يشبه هذا نزع الحق بالحياة ممن يرغب بان يمارسه كما يشاء، بلا علاقة لعمره. وقال الطبيب الطويلي "من الجلي أن الموروثات الثقافية الشرقية قد خلفت استقالة الذكر من كل ما يتعلق بالأعمال المنزلية، ذلك تربية

حاملة تنتهي الجائحة ستعود لممارسة هوايتها المفضلة.

ويرى الدكتور الصبحي بن منصور المؤرخ التونسي وأستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الزيتونة، أن مواقع التواصل الاجتماعي فتحت أفقا جديدة أمام مختلف الشرائح ومنها بالخصوص الفئات النسائية، لاسيما المتقاعدات، فاندجمن في هوايات ذات طبيعة فنية واستطلاعية من قبيل الغناء والرقص والمشاركة في الرحلات السياحية والثقافية في هذه المدن أو تلك، وكل ذلك بغاية الانشراح والاستمتاع بالحياة وجمالها. ومن النساء من اخترن قضاء الوقت في التواصل مع الآخرين، ومدهم بالنصائح وتقديم زبدة تجاربهن وخبرتهن لهم، علاوة على التفتن في بعض الهوايات من طبخ وفن وسرد.

ويقول بن منصور إنه في مقابل هذه الفئة التي تستسلم لقدر الشيخوخة وتعمل في الإثناء على التزود بالطاقة الإيجابية من خلال ممارسة الأنشطة المذكورة، توجد طائفة أخرى من النساء تتحدى الشيخوخة وتسعى إلى كسر مدها العالي من خلال ركوب صهوة الرياضات البدنية، سواء للمحافظة على سلامة صحتها أو لاستدامة جمالهن ورشاقة أبدانهن.

ويضيف أنه "خلافًا لرغبات جل النساء في تأخير مظاهر الشيخوخة أو محاربة زحفها على وجوههن وأجسادهن، وملء أوقات الفراغ بممارسة الهوايات المفضلة لديهن، تتشغل بعض التونسيات المتقدمات في السن بالتحصيل العلمي، وهذا ما يمكن معابته مثلا في مدارج الدراسة

تقدمه في السن. يرى علماء الاجتماع أنه مع ازدياد العمر، هناك رغبة في كسر كل التقاليد المتعلقة بالكيفية التي يجب أن تكون عليها الشيخوخة أو كيف على النساء كبيرات السن أن يعشن، مشيرين إلى أن نزع الحق من المسنين والمسلمات لممارسة الحياة كما يرغبون ويرغبين يعد عملا لا أخلاقيا.

وأكد علماء الاجتماع أن المرأة التي تبدو في الثمانين من عمرها ومازالت لديها رغبة في السفر والتعلم والرقص، وتقوم بذلك، تتعرض إلى التنمر، وبالتالي يشبه هذا نزع الحق بالحياة ممن يرغب بان يمارسه كما يشاء، بلا علاقة لعمره. وقال الطبيب الطويلي "من الجلي أن الموروثات الثقافية الشرقية قد خلفت استقالة الذكر من كل ما يتعلق بالأعمال المنزلية، ذلك تربية

ولمحت إلى أن ناهدة تعد من أكثر النماذج النسائية التي حظيت بنقد مستمر لشكل حياتها، مقابل الحب والتقدير الهائلين لها ولقراراتها الحياتية. وكانت المغنية اللبنانية صباح، التي لم يمنعهما كبر سنهما من أن تواصل الغناء والحب وبناء شركات زوجية حتى رحيلها، شككت صورة جميلة وحقيقية عن الشغف بالحياة وحققها بها وبما تمنحها من عواطف خلال مراحلها العمرية المختلفة.

وأسوة بناهدة تعمل السبعينية فاطمة المقيمة بحسي راق بتونس العاصمة على أن تكون في كامل انانقتها ولياقتها، فهي لا تغادر قاعات الرياضة وهي حريصة كل الحرص على ممارسة التمارين الرياضية وحضور حصص التديك وزيارة محل الحلاقة كل أسبوع، وهو روتين يومي لا ترغب في التخلي عنه.

وتؤكد فاطمة لـ"العرب" أنها أم لثلاثة أولاد وهي جدة للكرة الثانية، لكنها منذ أن حصلت على التقاعد من عملها بالبنك قررت ألا تهبط حياتها إلا لنفسها، خصوصا وأن أولادها الثلاثة قد تزوجوا واستقلوا بحياتهم. ولا ترى فاطمة عيبا في أن تظل في كامل أنوثتها حتى لو وصلت إلى الشيخوخة، فمما كانت تعتني بنفسها لدى ذهابها إلى عملها سنظل كذلك حتى بعد أن غادرت.

وأشارت إلى أنها تعشق السفر وقد زارت كثيرا من البلدان، لكن فيابروس كورونا قد منعها من ذلك، مؤكدة أنه

ساهمت الثورة التكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي في غزو عقول النساء ورسم أدوار جديدة لهن، ما ساعدهن على كسر تقاليد العمر والعيش خارج القاعدة التي رسمتها المجتمعات للمراحل العمرية للفرد بما يمكنهن من التغلب على الشيخوخة.

تلزمهم أن يمضوا حسبها، خاصة إن كانت امرأة وفي ظل أدوارها الاجتماعية والجنسية التي وُظفت لها منذ طفولتها، والتي هي بالضرورة، وفقا لهذه الأدوار، تعيش دوما من أجل الآخرين؛ عائلتها، أبناؤها وبناتها، زوجها وأحفادها، حيث من النادر أن تعيش من أجل نفسها. وفي كل القصص التي سمعنا فيها عن امرأة مسنة ما زالت تمارس حياتها كما تشاء، تتفاجأ بالضرورة، للإيجاب والسلب أيضا".

شغف بالحياة

أشارت حلوة إلى أن نموذج ناهدة ورغم وجوده يبقى نادرا جدا في العالم العربي، وذلك لأسباب عديدة، أولها الظروف الحياتية الصعبة والقاسية في الكثير من البلدان، والظروف التي يعيشها البشر في معظم الفئات العمرية، والنساء على وجه الخصوص. كما أن هنالك صعوبة للوصول إلى العلاجات الصحية والنوادي الرياضية وقلة توفرها، إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تنقل على حياة الكثيرين، فتصبح المعركة على الحياة والعمر المديد، في الكثير من الأحيان، ليست في متناول اليد أو القرار الفردي.

والمحت إلى أن ناهدة تعد من أكثر النماذج النسائية التي حظيت بنقد مستمر لشكل حياتها، مقابل الحب والتقدير الهائلين لها ولقراراتها الحياتية. وكانت المغنية اللبنانية صباح، التي لم يمنعهما كبر سنهما من أن تواصل الغناء والحب وبناء شركات زوجية حتى رحيلها، شككت صورة جميلة وحقيقية عن الشغف بالحياة وحققها بها وبما تمنحها من عواطف خلال مراحلها العمرية المختلفة.

وأسوة بناهدة تعمل السبعينية فاطمة المقيمة بحسي راق بتونس العاصمة على أن تكون في كامل انانقتها ولياقتها، فهي لا تغادر قاعات الرياضة وهي حريصة كل الحرص على ممارسة التمارين الرياضية وحضور حصص التديك وزيارة محل الحلاقة كل أسبوع، وهو روتين يومي لا ترغب في التخلي عنه.

وتؤكد فاطمة لـ"العرب" أنها أم لثلاثة أولاد وهي جدة للكرة الثانية، لكنها منذ أن حصلت على التقاعد من عملها بالبنك قررت ألا تهبط حياتها إلا لنفسها، خصوصا وأن أولادها الثلاثة قد تزوجوا واستقلوا بحياتهم. ولا ترى فاطمة عيبا في أن تظل في كامل أنوثتها حتى لو وصلت إلى الشيخوخة، فمما كانت تعتني بنفسها لدى ذهابها إلى عملها سنظل كذلك حتى بعد أن غادرت.

وأشارت إلى أنها تعشق السفر وقد زارت كثيرا من البلدان، لكن فيابروس كورونا قد منعها من ذلك، مؤكدة أنه

راضية القيزاني صحافية تونسية

لم تعد صورة المرأة الجميلة الفاتحة التي شارفت على مرحلة منتصف العمر ومازالت تحتفظ بكامل أنوثتها حكرا على الفنانة الشهيرات وعارضات الأزياء والمغنيات، بل إن رياح التغيير قد هبت على أغلب النساء اللاتي أصبحن يفضلن العيش خارج القاعدة التي رسمتها المجتمعات للمراحل العمرية للفرد، مما يمكنهن من التغلب على الشيخوخة.

وتعتبر اللبنانية ناهدة مدربة الكاراتيه، الحاملة لحزام أسود والبالغة من العمر 84 عاما، واحدة من اللواتي أبهرن الجمهور بحضورها الجميل وقوتها الجسدية في برنامج أخصر بالخط العرض الذي عرض على قناة "إم.بي.سي" اللبنانية، للإعلامي مالك مكتبي، وكانت محط مفاجأة للمشاهدين والمشاهدات، حيث من النادر جدا رؤية امرأة في هذا الجيل البيولوجي وبهذا الحضور الشبابي والقوة البدنية. وقالت ناهدة خلال المقابلة، إنها لا تريد أن تُعامل على أنها شابة بشكلها الخارجي وبشكل حياتها، فهي الأم والجدة الفخورة، كما أن لأحفادها أيضا. وهي ترى أن نمط حياتها وحضورها هو شيخوخة أيضا، كما ترغب أن تكون شيخوختها بلا انقاص من كل مرحلة عمرية عاشتها، وتقديرا لمرحلتها العمرية اليوم وهي ما بعد الثمانين عاما.

الصحي بن منصور
النساء يتحدثن
الشيخوخة من خلال
ركوب صهوة الرياضات

الطبيب الطويلي
المرأة تبقى مرتبطة
للتتمتات الجندرية
للمجتمع لها ولصورتها

وأكدت الكاتبة الصحافية الفلسطينية رشا حلوة في تعليقها على تصريحات ناهدة أنها تمثل نمونجا ترغب العديد من النساء في تحقيقه، كما نماذج عديدة لنساء في العالم وصلن إلى جيل الثمانين والتسعين، أي جيل الشيخوخة، ولكنهن ما زلن يعملن كعارضات أزياء وراقصات ومغنيات.

وقالت حلوة "ببساطة، عندما نذهب إلى حفلة رقص، ونرى امرأة ورجلا في الثمانين من عمرهما، يمارسان حياتهما بطبيعية كاملة كما غالبية الحاضرين من الجيل الأصغر سنا، وذلك لأنهما ببساطة بيعشان خارج القاعدة التي رسمتها المجتمعات للمراحل العمرية للفرد".

وأضافت "هذه الأدوار الاجتماعية التي تفرض على الأفراد وفقا لجيلهم،



هروب من قيود الأسرة